KJSLES
مارس 2026
مجلة كرت للدراسات الشرعية والقانونية والتربوية
العدد الخامس-السنة الثانية-
www.centrekert.com ISSN: 3085-492X Kert Journal for Sharia, Legal, and Educational Studies

التربية على الفاعلية في ضوء السيرة النبوية: مقاربة تربوية لبناء الوعي المعاصر_ دراسة تأصيلية تطبيقية_

Educating for Agency in the Light of the Prophetic Biography: A Pedagogical Approach to Building Contemporary Awareness- A Foundational and Applied Study

عبد الإله بلحسن: حاصل على الدكتوراه، أستاذ التعليم الثانوي، الأكاديمية الجهوية لجهة الشمال.

ملخص:

يتناول هذا البحث التربية على الفاعلية الإنسانية في ضوء السيرة النبوية، من خلال الكشف عن أسسها التربوية وإمكاناتها في بناء وعي معاصر قادر على الفعل والتأثير. وينطلق من إشكالية مركزية تتعلق بكيفية تحويل القيم من مجرد تصورات أخلاقية نظرية إلى موجهات عملية للسلوك والمسؤولية والمشاركة المجتمعية. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستنباطي في قراءة نصوص السيرة ومواقفها ذات الدلالة التربوية، مع توظيف المنهج الوصفي في تحليل مفاهيم الفاعلية والوعي في الأدبيات التربوية المعاصرة. وخلص البحث إلى أن النموذج التربوي النبوي يقدم إطارًا متكاملًا لتنمية الوعي القيمي، وتعزيز الدافعية الذاتية، وبناء حسّ المسؤولية، بما يؤسس لتربية تحويلية قادرة على إعداد إنسان واعٍ وفاعل ومؤثر في واقعه.

الكلمات المفتاحية: التربية النبوية – الفاعلية الإنسانية – السيرة النبوية – بناء الوعي.

Summary:

This study examines education for human effectiveness in light of the Prophetic Biography (Sīrah), by exploring its educational foundations and its potential for cultivating a contemporary consciousness capable of action and influence. It is grounded in a central question concerning how values may be transformed from abstract moral concepts into practical directives that guide behavior, responsibility, and civic engagement.

The research adopts an analytical–inferential approach in examining the texts of the Sīrah and their educational implications, while also employing a descriptive method to analyze the concepts of effectiveness and consciousness within contemporary educational literature.

The study concludes that the Prophetic educational model offers an integrated framework for nurturing value-based awareness, strengthening intrinsic motivation, and fostering a sense of responsibility, thereby laying the foundation for a transformative form of education capable of preparing an aware, active, and socially impactful individual.

Keywords: Prophetic Education – Human Agency – Prophetic Biography (Sīrah) – Awareness Building.

مقدمة:

تُواجه المنظومات التربوية المعاصرة تحديات بنيوية عميقة، ناجمة عن تسارع التحولات الاجتماعية والثقافية والمعرفية، وما أفرزته من أنماط وعي تتسم بالتجزئة والاضطراب، انعكس في تراجع الفاعلية الإنسانية واتساع مظاهر اللامبالاة والاغتراب القيمي. وقد أسهمت النزعات الأداتية والمقاربات النفعية السائدة في اختزال الإنسان في أبعاده الوظيفية، وإضعاف دوره بوصفه ذاتًا واعية قادرة على المبادرة والتأثير في الواقع، الأمر الذي أعاد طرح سؤال التربية بوصفه سؤالًا يتعلق ببناء الإنسان لا بمجرد نقل المعارف أو ضبط السلوك.

وفي هذا الإطار، تبرز السيرة النبوية بوصفها مرجعًا تربويًا متكاملًا في بناء الإنسان الفاعل، إذ أسست لمنظومة تربوية تتجاوز التقويم السلوكي الجزئي إلى إعادة تشكيل البنية الداخلية للإنسان، من خلال تنمية الوعي، وتزكية الدوافع، وترسيخ الشعور بالمسؤولية الفردية والاجتماعية. وقد قامت التربية النبوية على الربط المنهجي بين القيم والفعل، وبين البناء الداخلي والفاعلية الخارجية، بما جعل القيم موجهات عملية للسلوك الإنساني وليست مجرد معايير أخلاقية مجردة.

وتكتسب دراسة التربية على الفاعلية الإنسانية في ضوء السيرة النبوية راهنيتها العلمية في ظل محدودية النماذج التربوية المعاصرة في تحويل القيم إلى ممارسة اجتماعية مؤثرة، وهيمنة أنماط من التربية الوعظية التي تكرّس الانفصال بين الخطاب القيمي والواقع العملي. ومن ثم، يسعى هذا البحث إلى تحليل المرتكزات التربوية للفاعلية الإنسانية في السيرة النبوية، واستجلاء دلالاتها في بناء الوعي الإنساني المعاصر، بما يتيح بلورة تصور تربوي تحويلي يتجاوز الاختزال الأداتي للتربية، ويعيد الاعتبار للإنسان بوصفه فاعلًا أخلاقيًا واجتماعيًا في آن واحد.

إشكالية البحث: تواجه التربية المعاصرة صعوبة في تحويل القيم إلى فاعلية إنسانية مؤثّرة في الواقع، حيث يغلب الطابع الوعظي أو المعياري على الخطاب التربوي، بما يحدّ من بناء وعي قادر على المبادرة والمسؤولية. وفي هذا السياق، تبرز السيرة النبوية بوصفها نموذجًا تربويًا أسهم في بناء إنسان فاعل، يربط بين القيم والفعل، وبين الوعي والممارسة. ومن ثمّ، تتمحور إشكالية هذا

البحث حول التساؤل الآتي: كيف أسهمت السيرة النبوية في بناء الفاعلية الإنسانية، وما دلالات هذا النموذج في إعادة تشكيل الوعي التربوي المعاصر؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من **الأسئلة** الفرعية:

1. ما المقصود بالفاعلية الإنسانية في الإطار التربوي، وما مرتكزاتها المفاهيمية؟
2. ما الأسس التربوية التي قامت عليها الفاعلية الإنسانية في السيرة النبوية؟
3. كيف أسهمت التربية النبوية في الربط بين البناء الداخلي للإنسان وقدرته على الفعل في الواقع؟
4. ما حدود إمكانات استثمار هذا النموذج التربوي في معالجة إشكالات الوعي التربوي المعاصر؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1. تأصيل مفهوم الفاعلية الإنسانية في السياق التربوي المعاصر.
2. تحليل المرتكزات التربوية للفاعلية الإنسانية في السيرة النبوية.
3. إبراز العلاقة بين القيم والوعي والفعل في النموذج التربوي النبوي.
4. استجلاء دلالات التربية النبوية في بناء الوعي الإنساني المعاصر.
5. استكشاف إمكانات توظيف التربية النبوية لبناء وعي إنساني فاعل ومؤثر في الواقع المعاصر.

خطة البحث: معالجة موضوع البحث دراسة وتحليلا يستدعي وضع خطة تفصيلية لذلك، وقد تمت صياغتها في المحاور الآتية:

المحور الأول: الإطار النظري للمفاهيم الأساسية

المحور الثاني: المرجعية النبوية في التربية على الفاعلية

المحور الثالث: استثمار التربية النبوية في سياق التحديات المعاصرة

المحور الرابع: مؤشرات تقييم أثر التربية على الفاعلية في بناء الوعي المؤثر

المحور الأول: الإطار النظري للمفاهيم الأساسية

يعتبر موضوع الوعي الإنساني من الأسس المهمة لأي بحث يكشف عن الكيفية التي بها يكون الإنسان فاعلا ومؤثرا في محيطه الخارجي، لذلك يحسن بنا الوقوف ابتداء عند المفاهيم المشكلة لهذا الموضوع قصد استجلاء الأسس الفكرية التي تربط بين الوعي الداخلي للفرد وقدرته على التفاعل واتخاذ المبادرة الفعلية في محيطه الخارجي. ومن ثم تطبيق هذه الأسس في التقعيد للتربية على الفاعلية عبر برامج تربوية تحول المعرفة والقيم إلى فعل مؤثر ومسؤول.

1- الفاعلية الإنسانية:

يعود مصطلح الفاعلية من الناحية اللغوية إلى الفعل الثلاثي (فَعَلَ)، والفِعْلُ، بالكسر: حَرَكَةُ الإِنْسانِ، أو كِنايةٌ عن كُلِّ عَمَلٍ مُتَعَدٍّ[1]، وقيل هو وصف في كل ما هو فاعل[2]. ومن الناحية الاصطلاحية يُعد مصطلح الفاعلية من المصطلحات الحديثة نسبيًا في التداول العلمي، حيث يُعرف على أنه: " القدرة على إحداث تأثير، وفي الطب: قدرة الإجراء الطبي أو الدواء على إحداث التأثير المراد"[3]. فيما يعتبر مالك بن نبي الفاعلية بأنها "حركة الإنسان في صناعة التاريخ، إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سَكَنَ سَكَنَ المجتمع والتاريخ"[4].

وعليه؛ يمكن القول بأن الفاعلية الإنسانية هي القدرة الجوهرية للإنسان على توجيه سلوكه واتخاذ قراراته بوعي ومسؤولية، بما يمكنه من تحقيق أهدافه الذاتية والمجتمعية ضمن الإطار

---

[1] الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، باب اللام، فصل الفاء، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة: 2005م، ص: 1043.

[2] نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*، الطبعة الثانية: 1972م، مجمع اللغة العربية- القاهرة ج 2، ص: 695.

[3] آل ثابت سعيد بن محمد، *مفهوم الفاعلية*، بحث منشور على شبكة الألوكة، بتاريخ: 2016/10/23م، رابط المقال: https://www.alukah.net/social

[4] مالك بن نبي، *تأملات*، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر - الجزائر، الطبعة الخامسة: 1991م، ص: 129.

القيمي الأخلاقي. وهي لا تعني مجرد القدرة على الفعل، بل تشمل القدرة على المبادرة، واتخاذ القرار المبني على وعي بالقيم، وتحمل المسؤولية الاجتماعية.

وهو المعنى الذي يوضحه قول النبي ﷺ:» خير الناس أنفعهم للناس»[1]، فربَط الفاعلية الحقيقية للفرد بخدمة الآخرين وتحويل قدراته الذاتية إلى أثر إيجابي في المجتمع. وهذا يبرز البعد العملي للفاعلية، الذي يجعلها جسرًا بين القدرة الداخلية للفرد ومسؤولياته الاجتماعية.

2- الوعي الإنساني:

يُعرف الوعي الإنساني بأنه "حالة عقلية يتمكن فيها الفرد من إدراك ذاته والعالم الخارجي والتفاعل معهما بوعي وتفكير. يشمل الوعي العمليات المعرفية مثل الإدراك، الانتباه، والذاكرة، إضافة إلى الشعور الذاتي والإحساس بالعواطف"[2]. أي أن الوعي الإنساني هو إدراك الفرد لذاته، ولمحيطه، وربطه لسلوكه بالمعايير القيمية والأخلاقية. وهو شرط أساسي للفاعلية، لأنه يمنح الفعل معنى ويوجهه نحو الهدف الصحيح.

وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ:» إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3]. هذا الحديث يشير إلى أن الوعي الداخلي والنية الصادقة هما ما يعطي الفعل قيمته، ويؤكد على أن التربية على الوعي هي أساس الفاعلية الإنسانية.

3- التربية على الفاعلية:

الفاعلية تحيل في مدلولها على "الفعل الدؤوب (كلمة الدؤوب تعني الجدية في الأمر والاستمرار فيه)، وكي يكون هذا الفعل مثمرا ومرضيا، ينبغي (أولا) أن يحقق أعلى نسبة من الأهداف

---

[1] ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان، *المجروحين من المحدثين*، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000م، ج 2، ص: 48.

[2] فيّاض حسام الدين، *ما الوعي الإنساني؟ محاولة للتأصيل والفهم*، بحث منشور في موقع مؤمنون بلا حدود، بتاريخ: 26 ماي 2025م، رابط البحث: https://www.mominoun.com/articles

[3] أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، *سنن ابن ماجه*، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430 هـ - 2009 م، ج 5، ص: 255.

المبرمجة، (ثانيا) في أقل مدة ممكنة و(ثالثا) بأقل الجهود الممكنة"[1]. وعليه فالتربية على الفاعلية يمكن تعريفها بأنها العملية التربوية التي تهدف إلى تحويل القيم والمعرفة الإنسانية إلى فعل دؤوب وواعٍ ومسؤول. وهي تربط بين الفاعلية الإنسانية والوعي، وتعمل على تمكين الفرد من المبادرة وتحمل المسؤولية، وتحويل القيم إلى ممارسات عملية مؤثرة في الواقع.

في السيرة النبوية، نجد التربية على الفاعلية متجسدة في المواقف العملية والتعليم القيمي اليومي، كما في قوله ﷺ:» من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[2]، يبرز هذا الحديث كيف تربط التربية النبوية بين الإيمان، الوعي، والقيم، وبين الفعل الواقعي الذي يعكس المسؤولية الاجتماعية للفرد.

المحور الثاني: المرجعية النبوية في التربية على الفاعلية

تشكل السيرة النبوية مرجعية تربوية متكاملة، إذ توفر نموذجًا عمليًا لتحويل القيم والمعرفة إلى سلوك واعٍ وفاعلية مؤثرة في الواقع الاجتماعي. فالمرجعية النبوية ليست مجرد نقل للقيم بشكل نظري، بل توجيه للفعل والوعي الإنساني من خلال الممارسة اليومية والتوجيه القيمي، ما يجعلها قاعدة أساسية للتربية على الفاعلية.

1- ترسيخ الوعي القيمي بوصفه أساس الفعل الإنساني:

يقوم المنهج التربوي النبوي، في بنيته العميقة، على تأسيس الفعل الإنساني على وعي قيمي سابق عليه، إذ لا يُنظر إلى السلوك بوصفه استجابة آلية أو ممارسة خارجية، بل باعتباره تعبيرًا عن بنية داخلية تتشكل من المعنى، والنية، والضمير الأخلاقي. فالوعي القيمي في المرجعية النبوية هو الشرط التأسيسي لكل فاعلية إنسانية، وبدونه يتحول الفعل إلى حركة فارغة من الدلالة الأخلاقية.

---

[1] حمداوي محمد، *الفعالية: مفهومها وسبل تحصيلها*، مجلة النداء التربوي، العدد 29، السنة الخامسة والعشرون 1443هـ/2022م، ص: 4.

[2] البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه*، دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012م، ج 8، ص: 31.

يتجلى هذا المرتكز بوضوح في الحديث النبوي الجامع:» إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1]. يؤسس هذا الحديث لمبدأ تربوي مركزي مفاده أن القيمة الأخلاقية للفعل لا تُستمد من صورته الخارجية، بل من وعي الفاعل بمعناه ومقصده. ومن ثمّ، فإن التربية النبوية تبدأ بتشكيل الوعي، لا بتكثيف الأوامر السلوكية. وقد أشار ابن عطاء الله السكندري إلى هذا المعنى حين اعتبر في حكمته العاشرة أن "الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها"[2]؛ وهو تصور يجعل الوعي القيمي روح الفعل ومحركه الداخلي[3].

من هذا المنطلق، لا تسعى المرجعية النبوية إلى إنتاج أفراد منضبطين سلوكيًا فحسب، بل إلى بناء إنسان واعٍ قادر على التمييز الأخلاقي، وهو ما يمنح الفعل الإنساني بعده القيمي والإنساني.

2- تنمية الاستعداد للمبادرة وتحمل المسؤولية الأخلاقية:

بعد ترسيخ الوعي القيمي، تنتقل التربية النبوية إلى مرحلة ثانية لا تقل أهمية، تتمثل في تنمية الاستعداد الداخلي للمبادرة وتحمل المسؤولية. فالفعل في المنظور النبوي لا ينبثق تلقائيًا من

---

[1] مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، الطبعة الأولى: 1374هـ - 1955م، ج3، ص: 1515.

[2] السّكندري ابن عطاء الله، *الحِكم*، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، الطبعة الأولى: 2011، ص: 106.

[3] من شواهد ترسيخ الوعي القيمي بوصفه أساس الفعل الإنساني:

1- قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»، أخرجه: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، *الجامع الكبير (سنن الترمذي)*، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى: 1996م، ج 4، ص: 286.

يُعد هذا الحديث شاهدًا مركزيًا على أن التربية النبوية تستهدف بناء حسّ قيمي داخلي يمكّن الإنسان من التمييز الأخلاقي دون حاجة إلى توجيه خارجي مباشر. فالمعيار هنا ليس القانون ولا العرف، بل طمأنينة الضمير، وهو تعبير واضح عن الوعي القيمي بوصفه أداة حكم أخلاقي ذاتية. ويؤكد هذا أن الفعل في التصور النبوي ينبثق من إدراك أخلاقي واعٍ، لا من الامتثال الشكلي.

2- موقف النبي ﷺ من الشاب الذي استأذنه في الزنا، حيث لم يواجهه بالمنع المجرد، بل خاطبه بخطاب عقلي قيمي، سائلاً إياه: «أترضاه لأمك؟... أترضاه لأختك؟...».

هذا الموقف يمثل نموذجًا تربويًا راقيًا في بناء الوعي الأخلاقي عبر الاستبصار القيمي، حيث انتقل النبي ﷺ بالمتلقي من مستوى الرغبة إلى مستوى الوعي بالمعنى والآثار. وهو ما يدل على أن المرجعية النبوية لا تكتفي بإنتاج الامتثال، بل تسعى إلى إعادة تشكيل وعي الإنسان بذاته وبالآخر.

الوعي، بل يحتاج إلى تأهيل أخلاقي ونفسي يجعل الإنسان مستعدًا لتحمل تبعات قراراته وأفعاله.

يتجلى هذا المعنى بوضوح في قوله ﷺ:» كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1]. يحمل هذا الحديث دلالة تربوية عميقة؛ إذ يربط بين الوعي بالموقع والدور، وبين تحمل المسؤولية، دون انتظار توجيه خارجي دائم. فالمسؤولية هنا ليست وظيفة إدارية، بل حالة أخلاقية داخلية تجعل الفرد مستعدًا للمبادرة والفعل الواعي في المجال الذي يوجد فيه.

وقد لاحظ المفكرون التربويون أن هذا النوع من التربية يختلف جذريًا عن النماذج التي تكتفي بضبط السلوك عبر الرقابة الخارجية؛ إذ تقوم التربية النبوية على بناء الرقابة الذاتية النابعة من الضمير، وتعتبرها "أنجح الأساليب الرقابية، والضمير هو صوت الله الحي الكامن في الإنسان، ويعرفه البعض بأنه: كل نزعة خيرية كامنة في الإنسان بالفطرة، ولقد وضع الإسلام في المسلم ضميرًا حيًّا لا يموت أبدًا؛ إذ ربط المسلم بالله -سبحانه وتعالى- برباط دائم لا نهاية له، وصلة قربى لا مسافة فيها، يقول تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ}[الحديد: 4].

وفي هذا السياق، يتجاوز المنهج النبوي التصورات الحديثة للفاعلية الإنسانية التي تؤكد على المسؤولية الذاتية، بفارق جوهري يتمثل في المرجعية القيمية المتجاوزة للمصلحة الفردية[2].

---

[1] أخرجه البخاري (893)، ومسلم (1829) باختلاف يسير.

[2] من شواهد تنمية الاستعداد للمبادرة وتحمل المسؤولية الأخلاقية:

1- تكليف النبي ﷺ لمصعب بن عمير بالدعوة في المدينة: اختيار النبي ﷺ لمصعب بن عمير، وهو شاب، ليكون أول سفير للإسلام في المدينة، يمثل شاهدًا واضحًا على التربية على المبادرة وتحمل المسؤولية .فقد منحه النبي ﷺ ثقة كاملة، وأناط به مهمة مصيرية تتعلق ببناء مجتمع جديد.

تربويًا، يكشف هذا الموقف عن أن المرجعية النبوية لا تُربّي الأفراد على الانتظار أو التبعية، بل على تحمل المسؤولية في ضوء الوعي بالقيم .فالمبادرة هنا ليست اندفاعًا، بل فعلًا مسؤولًا مؤسسًا على إدراك الرسالة والغاية.

2- قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» أخرجه مسلم (2626).

يدل هذا الحديث على توسيع دائرة المسؤولية الأخلاقية، بحيث لا تُربط بالفعل الكبير فقط، بل بكل ممارسة يومية يمكن أن تُحدث أثرًا. وهو ما يُنمّي لدى الفرد الاستعداد الدائم للمبادرة، ويحرّره من وهم أن الفعل الأخلاقي مشروط بظروف استثنائية.

3- تحويل الوعي والمسؤولية إلى ممارسة اجتماعية مؤثرة:

لا تكتمل التربية على الفاعلية في المرجعية النبوية عند حدود الوعي أو الاستعداد الداخلي، بل تبلغ غايتها القصوى في تحقيق الأثر الاجتماعي. فالقيم والوعي والمسؤولية، ما لم تتحول إلى ممارسة واقعية، تظل حبيسة المجال النظري أو الذاتي. ولهذا، يربط المنهج النبوي بين صلاح الفرد وأثره في محيطه.

يُعبّر عن هذا المرتكز بوضوح قول النبي ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1]. يحدد هذا الحديث معيار التفاضل الإنساني لا في كثافة المعرفة ولا في مجرد النوايا، بل في القدرة على تحويل القيم إلى نفع اجتماعي ملموس. وهو ما يعكس تصورًا تربويًا يرى أن الفاعلية الإنسانية تتحقق حين يصبح الفرد عنصر إصلاح وتأثير في الواقع، لا مجرد كيان منضبط أخلاقيًا في ذاته.

وتؤكد السيرة النبوية هذا التوجه من خلال نماذج عملية متعددة[2]، حيث لم تُربَّ الجماعة الأولى على العزلة أو الانكفاء، بل على الحضور الفاعل في المجتمع، والمبادرة إلى الإصلاح، وتحمل أعباء التغيير. وهو ما يجعل التربية النبوية نموذجًا لما يمكن تسميته التربية ذات الأثر، التي تقيس نجاحها بمدى إسهام الإنسان في بناء المجتمع.

---

[1] أخرجه ابن حبان في ((المجروحين)) (1/2)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (1234) واللفظ لهما، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (5787) مطولاً.

[2] من شواهد تحويل الوعي والمسؤولية إلى ممارسة اجتماعية مؤثرة:

1- بناء المسجد النبوي والمشاركة العملية للنبي ﷺ

لم يكن بناء المسجد النبوي مجرد مشروع تعبدي، بل ممارسة تربوية جماعية، شارك فيها النبي ﷺ بنفسه، وهو يقول:» اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة» . يُبرز هذا المشهد بوضوح أن التربية النبوية تقوم على تحويل القيم إلى فعل جماعي مؤثر، وأن القيادة التربوية لا تكتفي بالتوجيه، بل تُجسّد القيم في الواقع. وهو ما يجعل الفاعلية الإنسانية ممارسة اجتماعية، لا حالة فردية منعزلة.

2- موقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: تُعد المؤاخاة التي أقامها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار من أبلغ الشواهد على تحويل الوعي القيمي إلى بنية اجتماعية عملية. فقد انتقلت قيم الإيثار والتكافل من مستوى الخطاب إلى مستوى التنظيم الاجتماعي، بما يحمله من التزامات واقعية.

وهذا يؤكد أن المرجعية النبوية لا ترى الفاعلية في مجرد السلوك الفردي، بل في إنتاج أنساق اجتماعية قائمة على القيم، وهو ما يمنح التربية بعدها الحضاري.

المحور الثالث: استثمار التربية النبوية في سياق التحديات المعاصرة

أفرزت التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة تحديات عميقة تمسّ بنية الوعي الإنساني وفاعليته، وأضعفت قدرة التربية الحديثة على تحويل القيم إلى سلوك مؤثر. ويتيح النموذج التربوي النبوي، بما يقوم عليه من تكامل بين القيم والوعي والفعل، إمكانات منهجية لمعالجة هذه التحديات واستعادة الفاعلية الإنسانية في الواقع المعاصر.

1- أزمة المعنى و انفصال الفعل عن الغاية:

يعيش الإنسان المعاصر أزمةً في المعنى، تجلّت في انفصال الفعل عن غاياته الأخلاقية، حيث غلبت العقلانية الأداتية التي اختزلت السلوك الإنساني في بعده النفعي والوظيفي، وأفرغته من مضمونه القيمي، كما بيّن ماكس فيبر في تحليله لتحولات الحداثة[1]. وأسهم هذا التحول في تراجع الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية وانتشار اللامبالاة والانسحاب من الفعل الاجتماعي المؤثر، وهو ما يلتقي مع تشخيص تشارلز تايلور لأزمة الأفق الأخلاقي في السياق الحديث[2]. ويؤكد مالك بن نبي أن غياب الفكرة القيمية المحرّكة يُفضي إلى تآكل الفاعلية الإنسانية وتحول الإنسان من فاعل في التاريخ إلى كائن منفعِل بالواقع[3].

تعالج التربية النبوية هذا التحدي عبر إعادة ربط الفعل الإنساني بالمقصد الأسمى، بحيث يصبح السلوك اليومي انعكاسًا للغايات الوجودية للاستخلاف، لا مجرد استجابة آلية للمتطلبات الخارجية. في المنهج النبوي، تُقدَّم القيم على أنها معانٍ موجهة للفعل وتشكل وعيًا أخلاقيًا داخليًا، وليست أوامر شكلية منفصلة عن الوعي والنية. ويجسد هذا المبدأ قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[4]، ويمتد ذلك إلى الفعل الاجتماعي في قوله

---

[1] Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology, Max Weber (Berkeley: University of California Press, 1978), 181–185.

[2] Sources of the Self: The Making of the Modern Identity, Charles Taylor (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989), 495–502.

[3] مالك بن نبي، *شروط النهضة*، دار الفكر - دمشق، 1986، 73–78.

[4] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث 1، ج 1، ص: 179.

ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1]، الذي يربط بين الفعل الفردي وفاعليته في المجتمع، مؤكدًا أن قيمة العمل وفاعليته لا تُقاس بالشكل، بل بالغاية والنية.

وبذلك تمنح التربية النبوية الفعل بعدًا غائيًا يعيد للإنسان شعوره بالجدوى والمعنى، ويحوّل نشاطه من مجرد تلبية للحاجات المادية إلى ممارسة واعية قادرة على التأثير الإيجابي في محيطه الاجتماعي. فهي تتجاوز مجرد تهذيب السلوك الفردي، لتعمل على تفعيل وعي الإنسان بالقيمة والمعنى، وتنمي فيه القدرة على المبادرة وتحمل المسؤولية، ليصبح فاعلًا واعيًا قادرًا على تحويل القيم إلى أثر عملي ملموس في الواقع.

2- النزعة الفردانية:

تُعد النزعة الفردانية من أبرز التحديات المعاصرة التي تؤثر في الفاعلية الإنسانية، إذ تؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية والأخلاقية بين الأفراد، ويقتصر الفعل على المصالح الذاتية، منفصلًا عن مسؤولية الإنسان تجاه مجتمعه. وقد أشار ابن خلدون إلى أن العصبية الاجتماعية (العلاقات والروابط الاجتماعية) شرط أساسي لاستمرار المجتمع واستقرار الفعل الإنساني فيه، وغيابها يؤدي إلى انحراف السلوك الفردي وضعف التفاعل المجتمعي[2].

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، ومسؤول أمام الله وأمام المجتمع عن أعماله. يقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ} [المائدة: 3]، وهو نص صريح يربط بين العمل الفردي والمسؤولية الجماعية، ويشدد على أن الفاعلية الحقيقية للفرد لا تتحقق إلا ضمن إطار التزامه بالقيم المشتركة ومساهمته في الخير العام. كما حث النبي ﷺ على المبادرة الاجتماعية، فقال: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد» [3]، مما يوضح أن الفردية المفرطة تتعارض مع طبيعة الإنسان الفطرية والأخلاقية.

وتسعى التربية النبوية إلى توازن الفردية مع المسؤولية الجماعية عبر غرس قيم التعاون والمبادرة والمشاركة في الخير، وترسيخ إدراك أن الفعل الفردي مرتبط بالأثر الاجتماعي والغاية

[1] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث 1893، ج 3، ص: 1506.
[2] ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق: حسين مؤنس، دار الفكر العربي – القاهرة، 1980م، 112-115.
[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، حديث 2586، ج 4، ص: 1999.

الأخلاقية، مما يعزز الوعي الاجتماعي والفاعلية المشتركة ويحوّل السلوك من مجرد مصالح ذاتية إلى ممارسة مؤثرة وفاعلة في المجتمع.

3- غياب القدوة الأخلاقية:

يمثل غياب القدوة الأخلاقية في الفضاء العام أحد التحديات البنيوية التي تقوض بناء الوعي القيمي والفاعلية الإنسانية في السياق المعاصر. فقد شهدت المجتمعات الحديثة تحوّلًا في معايير الاعتراف الاجتماعي، حيث لم تعد القدوة تُبنى أساسًا على الاستقامة الأخلاقية أو المسؤولية الاجتماعية، بل غلبت عليها معايير الشهرة، والنفوذ، والنجاح الرمزي السريع، بغضّ النظر عن المضمون القيمي للفعل. ويؤدي هذا التحول إلى إفراغ مفهوم القدوة من وظيفته التربوية، وتحويله إلى نموذج شكلي لا يُنتج وعيًا أخلاقيًا فاعلًا.

تعالج التربية النبوية تحدي غياب القدوة الأخلاقية من خلال إرساء مبدأ القدوة بوصفها أداة تربوية مركزية في بناء الوعي والفاعلية الإنسانية، حيث لم يقتصر الخطاب النبوي على توجيه القيم نظريًا، بل جسّدها النبي محمد ﷺ في سلوكه اليومي، مما جعل شخصيته نموذجًا عمليًا متكاملًا للاقتداء. وقد أكد القرآن هذا البعد حين قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] بما يدل على أن بناء الإنسان لا يتحقق إلا عبر النموذج الحي الذي يوحد بين القول والفعل.

ويقوم المنهج النبوي في صناعة القدوة على الانسجام بين القيم والممارسة، حيث ترتبط المصداقية الأخلاقية بالفعل المتحقق لا بالشعار المرفوع. ويبرز ذلك في قوله ﷺ :«إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[1] إذ يجعل من الأخلاق مشروعًا عمليًا متجسدًا في السلوك. كما يرسخ الحديث النبوي:» خيركم خيركم لأهله» [2]، معيار القدوة في الممارسة اليومية القريبة، لا في الصورة العامة أو الخطاب الدعوي المجرد.

---

[1] البخاري محمد بن إسماعيل، *الأدب المفرد*، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م، ص: 143.

[2] أخرجه الترمذي (3895)، ج 6، ص: 188.

وتسهم التربية النبوية، من خلال هذا النموذج، في إعادة الاعتبار للقدوة الأخلاقية بوصفها محركًا للفاعلية الاجتماعية، إذ تتيح للإنسان أن يرى القيم متحققة في الواقع، فيتولد الوعي، وتتحفز المبادرة، ويُستعاد البعد الأخلاقي للفعل. وبهذا، لا تعالج التربية النبوية فراغ القدوة عبر التنظير، بل عبر إنتاج نماذج فاعلة قادرة على التأثير والإلهام، وربط القيم بالفعل في الفضاء العام.

المحور الرابع: مؤشرات تقييم أثر التربية على الفاعلية في بناء الوعي المؤثر

يقتضي تقييم أثر التربية على الفاعلية الانتقال من الوصف النظري إلى بناء مؤشرات تقويمية قادرة على قياس مدى تحقق الوعي المؤثر في السلوك الفردي والاجتماعي. فالتربية الناجحة لا تُقاس بحجم الخطاب القيمي الذي تنتجه، بل بقدرتها على إحداث تحوّل واعٍ في الإنسان، يجمع بين الرسوخ القيمي، والقدرة على الفعل، والتأثير الإيجابي في الواقع. وانطلاقًا من هذا التصور، يمكن تحديد مؤشرات التقييم في المستويات الآتية:

1- المستوى الداخلي (مجال الوعي القيمي): يقيس هذا المجال مدى نجاح التربية في ترسيخ القيم بوصفها معايير داخلية موجِّهة للسلوك، لا مجرد معارف أو شعارات أخلاقية.

مؤشرات التقويم:

- قدرة الفرد على تفسير أفعاله انطلاقًا من مرجعية قيمية واعية.
- وضوح العلاقة بين القيم التي يتبناها الفرد وخياراته العملية.
- ثبات الموقف الأخلاقي في غياب الرقابة الخارجية.
- حضور النية والقصد الأخلاقي في تفسير السلوك.

دلالة المؤشر: تحقق هذا المجال يدل على انتقال التربية من التوجيه الخارجي إلى بناء الضمير القيمي.

2- المستوى الإرادي (مجال المبادرة وتحمل المسؤولية): يرتبط هذا المجال بقياس استعداد الفرد للانتقال من التلقي إلى الفعل، ومن الانضباط السلبي إلى المسؤولية الأخلاقية الواعية.

مؤشرات التقويم:

- الاستعداد لاتخاذ القرار الأخلاقي في المواقف المركّبة.
- المبادرة بالفعل الإيجابي دون انتظار توجيه مباشر.
- تحمّل نتائج الفعل وتحليلها أخلاقيًا.
- مقاومة السلوكيات السائدة حين تتعارض مع القيم.

دلالة المؤشر: يعكس هذا المجال مدى نجاح التربية في إنتاج إنسان فاعل لا منفعل.

3- المستوى العملي (مجال الاتساق بين الوعي والسلوك): يقيس هذا المجال درجة الانسجام بين ما يؤمن به الفرد وما يمارسه فعليًا في حياته اليومية.

مؤشرات التقويم:

- استمرارية السلوك القيمي وعدم ارتهانه للظروف.
- تجنب الازدواجية بين الخطاب والممارسة.
- ترجمة القيم إلى أنماط سلوكية متكررة لا استثنائية.
- القدرة على نقد الذات وتصحيح السلوك.

دلالة المؤشر: يشير هذا المجال إلى تجاوز التربية للخطاب الوعظي نحو التشكيل السلوكي الواعي.

4- المستوى الجماعي (مستوى التأثير الاجتماعي): يركّز هذا المجال على قياس امتداد الفاعلية الفردية إلى المجال الاجتماعي، باعتبارها الغاية العليا للتربية على الفاعلية.

مؤشرات التقويم:

- الإسهام في مبادرات جماعية ذات بعد قيمي.
- التأثير الإيجابي في محيط الأسرة أو المؤسسة أو المجتمع.

- القدرة على نشر القيم عبر القدوة لا الخطاب فقط.
- المشاركة الواعية في معالجة قضايا المجتمع.

دلالة المؤشر: تحقق هذا المجال يدل على أن التربية نجحت في تحويل الفرد إلى فاعل اجتماعي مؤثر.

يُظهر هذا الإطار أن نجاح التربية على الفاعلية لا يُقاس بمؤشر واحد معزول، بل بمنظومة مترابطة تبدأ ببناء الوعي القيمي، وتمر بتنمية الإرادة والمبادرة، وتتحقق في الاتساق العملي، لتبلغ ذروتها في التأثير الاجتماعي. وكل اختلال في أحد هذه المجالات ينعكس مباشرة على مستوى الفاعلية الإنسانية المتحققة.

شبكة مؤشرات تقييم أثر التربية على الفاعلية في بناء الوعي

المستوى التقويمي	مجال التقييم	المؤشر التقويمي	درجة التحقق			الملاحظات
			مرتفع	متوسط	منخفض	
المستوى الداخلي	الوعي القيمي	أفسّر أفعالي انطلاقًا من مرجعية قيمية واعية.				
		ترتبط اختياراتي العملية بالقيم التي أتبناها.				
		أحافظ على موقفي الأخلاقي في غياب الرقابة الخارجية.				
		تحضر النية والقصد الأخلاقي في تفسير سلوكي.				
المستوى الإرادي	المبادرة وتحمل المسؤولية	أتخذ قرارات أخلاقية واعية في المواقف المركّبة.				
		أبادر بالفعل الإيجابي دون انتظار توجيه مباشر.				
		أتحمّل نتائج أفعالي وأقيّمها أخلاقيًا.				
		أقاوم السلوكيات السائدة عندما تتعارض مع القيم.				
المستوى العملي	الاتساق بين الوعي والسلوك	ألتزم بالسلوك القيمي باستمرار بغضّ النظر عن الظروف.				
		أتجنب الازدواجية بين ما أقول وما أمارس.				
		أترجم القيم إلى ممارسات يومية متكررة.				

		أنقد ذاتي وأسعى إلى تصحيح سلوكي.				
المستوى الجماعي	التأثير الاجتماعي	أُسهم في مبادرات جماعية ذات بعد قيمي.				
		أؤثر إيجابيًا في محيطي الأسري أو المؤسسي.				
		أنشر القيم من خلال القدوة العملية لا الخطاب فقط.				
		أشارك بوعي في معالجة قضايا المجتمع.				

خاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن التربية على الفاعلية تمثل مدخلًا مركزيًا في بناء الوعي الإنساني المؤثر، وأن استعادة هذا المفهوم لا يمكن أن تتم بمعزل عن مرجعية قيمية متكاملة تضبط الوعي وتوجه الفعل. وقد بيّن البحث في بدايته أن مفاهيم الفاعلية الإنسانية، والوعي الإنساني، والتربية على الفاعلية لا تُفهم بوصفها حالات سلوكية معزولة، بل كمنظومة مفاهيمية مترابطة، تتأسس على الانتقال من المعرفة بالقيم إلى استبطانها، ثم إلى تجسيدها في الفعل الفردي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، أبرز البحث أن المرجعية النبوية تقدِّم نموذجًا تربويًا متكاملًا في بناء الفاعلية، يقوم على ترسيخ الوعي القيمي الداخلي، وتنمية الإرادة الأخلاقية، وربط الفعل بالمقصد والنية، بما يجعل الإنسان فاعلًا واعيًا لا منقادًا للظروف أو ضغوط السياق. وقد أظهرت السيرة النبوية أن التربية ليست تلقينًا للمعايير، بل صناعة للإنسان القادر على المبادرة وتحمل المسؤولية، وتحويل القيم إلى ممارسات واقعية مؤثرة.

وانتقل البحث إلى استثمار هذا النموذج التربوي في مواجهة أبرز التحديات المعاصرة، كفقدان المعنى، وتصاعد النزعة الفردانية، وغياب القدوة الأخلاقية في الفضاء العام، مبرزًا أن التربية النبوية تملك من المرونة والعمق القيمي ما يؤهلها لمعالجة هذه التحديات، عبر إعادة وصل الإنسان بغاية الفعل، وتفعيل البعد الجماعي للمسؤولية، وبناء القدوة العملية بوصفها آلية مركزية في تشكيل الوعي.

ثم في الختام قدّم إطارًا تقويميًا تطبيقيًا لقياس أثر التربية على الفاعلية في بناء الوعي المؤثر، من خلال مؤشرات دقيقة شملت المستويات الداخلية، والإرادية، والعملية، والجماعية. وقد أظهر هذا الإطار أن نجاح التربية لا يُقاس بكثافة الخطاب القيمي، بل بمدى تحقق الاتساق بين الوعي والسلوك، وقدرة الفرد على المبادرة، واتساع أثره في المجال الاجتماعي.

وبناءً على ذلك، يؤكد البحث أن التربية النبوية، بوصفها نموذجًا قيميًا مقاصديًا، قادرة على الإسهام في إعادة بناء الإنسان المعاصر، ليس فقط عبر تهذيب سلوكه، بل عبر تمكينه من وعي فاعل ومسؤول، يحوّل القيم إلى قوة إصلاحية حقيقية في الواقع. كما يفتح هذا البحث أفقًا

لدراسات تطبيقية لاحقة، تسعى إلى اختبار هذا النموذج التربوي ميدانيًا، وتطوير أدوات قياس تسهم في ترسيخ التربية على الفاعلية بوصفها خيارًا استراتيجيًا في بناء الإنسان والمجتمع.

توصيات البحث:

1. إدماج التربية على الفاعلية في البرامج التربوية: يوصي البحث بتبني التربية على الفاعلية كمدخل أساسي في السياسات والبرامج التربوية، يربط بين بناء الوعي القيمي وتنمية القدرة على المبادرة وتحمل المسؤولية، مع تجاوز الاقتصار على المعرفة النظرية أو الانضباط السلوكي.

2. استثمار المرجعية النبوية عمليًا: تشدد التوصية على توظيف السيرة النبوية كنموذج تربوي عملي، من خلال تحويل القيم النبوية إلى أنشطة تطبيقية، وتعزيز القدوة الأخلاقية، لتمكين المتربّي من ترسيخ القيم داخليًا وتحويلها إلى سلوك فاعل مؤثر.

3. تطوير أدوات تقويم فاعلية التربية: يوصي البحث بإنشاء أدوات قياس دقيقة تستند إلى مؤشرات محددة، لقياس أثر التربية على الفاعلية وبناء الوعي المؤثر على المستويات الفردية والاجتماعية، بما يربط النظرية بالممارسة.

4. ربط التربية بالقضايا الاجتماعية المعاصرة: تشدد التوصية على توجيه التربية القيمية نحو المشاركة الفاعلة في معالجة القضايا المجتمعية، وإكساب المتربّي القدرة على نقل القيم إلى واقع ملموس، بما يعزز المسؤولية الاجتماعية والفاعلية الأخلاقية.

المصادر والمراجع:

1. المصحف الشريف.
2. ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان، المجروحين من المحدثين، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000م.
3. ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق: حسين مؤنس، دار الفكر العربي – القاهرة، 1980م.
4. أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430 هـ - 2009 م.
5. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.
6. آل ثابت سعيد بن محمد، *مفهوم الفاعلية*، بحث منشور على شبكة الألوكة، بتاريخ: 2016/10/23م.
7. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012م.
8. البخاري محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م.
9. حمداوي محمد، *الفعالية: مفهومها وسبل تحصيلها*، مجلة النداء التربوي، العدد 29، السنة الخامسة والعشرون 1443هـ/2022م.
10. السكندري ابن عطاء الله، *الحِكم*، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، الطبعة الأولى: 2011.
11. فياض حسام الدين، *ما الوعي الإنساني؟ محاولة للتأصيل والفهم*، بحث منشور في موقع مؤمنون بلا حدود، بتاريخ: 26 ماي 2025م.

12. الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة: 2005م.

13. مالك بن نبي، *تأملات*، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر - الجزائر، الطبعة الخامسة: 1991م.

14. مالك بن نبي، *شروط النهضة*، دار الفكر - دمشق، 1986.

15. مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، الطبعة الأولى: 1374هـ - 1955م.

16. مناهج جامعة المدينة العالمية، *كتاب السياسة الشرعية*، جامعة المدينة العالمية – السعودية.

17. نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*، الطبعة الثانية: 1972م، مجمع اللغة العربية – القاهرة، ج 2.

18-Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology, Max Weber (Berkeley: University of California Press, 1978).

19-Sources of the Self: The Making of the Modern Identity, Charles Taylor (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989).